نـافـذة

السيد وزير السياحة في التعليم السياحي

السيد وزير السياحة، هناك أناس لم يدخلوا إلى اليوم عصر الحرب في سورية وعلى سورية! ويتعاملون مع القضايا كأن شيئاً لم يكن! وأزعم أن بعضهم لا يزال يعيش حقبة الثمانينيات! والمشكلة أن هؤلاء استطاعوا أن يتسيدوا، ولم يتم التعامل معهم وفق تواريخهم، ولا إخفاقاتهم أو نجاحاتهم، بل إنهم يتعاملون كما لو أنهم هم الوحيدون الذين يملكون فكراً ورؤى! ويبدو أن غياب الرؤى لدى المعنيين، وجهلهم بما يقومون به جعل هؤلاء مقنعين! وكثيراً ما سمعت من هذا أو ذاك أن فلاناً يملك خطة وبرنامجاً، وهذا المعني بالأساس لا علاقة له بما يتحدث به من قريب أو بعيد، بل إن كل ما يقوم به أحدهم هو للحفاظ على وجوده في مكان ما، وللاحتفاظ بالروح السلطوية التي سمح له بها جهل الآخرين بما أوكل إليهم..!

مجموعة مواقع محددة في وزارة السياحة يتعاقب عليها أشخاص محددون، وعلى تعاقب الوزارات يتم إعفاء فلان من موقع، وتكليف آخر، وبرحيل الوزير وقدوم وزير جديد يعود التوزيع إلى ما كان عليه بتغيير جديد! المهم أن يكون أحدهم آمر صرف! ألم يسأل أحدهم لمَ يتمسك فلان بموقع محدد، ويفعل الأفاعيل للعودة إليه؟! الأسماء موجودة لمديرين تعاقبوا على المكان ذاته أكثر من مرة! لماذا لم يسأل أحدهم نفسه قبل أن يصدر قراره لم أعفي هذا من مكانه من قبل؟! ألا يوجد في سورية طاقات سوى هؤلاء النفر من الناس؟

ماذا قدموا للأماكن التي عزلوا منها ليأتي أحدهم مرة ثانية وثالثة إليه؟!

حين يتكلم أحدهم بشخص ما ألا نملك القدرة على مناقشته علمياً لبيان الوضع على حقيقته؟

هل المطلوب أن يبقى أحدهم مديراً وآمر صرف حتى تقاعده؟!

أقول هذا بعد أن انتفت أي مصلحة، وقد كنت من قبل مدرساً في أحد معاهد الوزارة، وشهدت رحيل مدير ومجيء آخر، وعودة الأول، ومن ثم عودة الثاني، وكأن هذه المعاهد العلمية السياحية حقول تجارب! وفي سنوات زادت عن عقدين أدركت أسباب الخيبة في التعليم السياحي السوري، وقد وضعت أمام إحدى الإدارات حصيلة زياراتي إلى المعاهد السياحية في تونس للإفادة منها، فضاعت ولا أدري مصيرها!!

وكلما جاء مدير رأى أن رؤيته هي الخطة الدرسية، فيغير كما يشاء، يأتي آخر ليلغي ويضيف وهكذا تستمر اللعبة في الخطة الدرسية، فلم يبق أي طعم أو لون للخريج.

أحدهم لا يعلم، أو لا يريد أن يعلم لأسبابه الشخصية أن سورية في حرب، والأوضاع ليست في الوضع الأمثل، فيقوم بإلغاء مادة تخصصية لازمة، ويصمم على أن يكون الاختصاص البديل هو الدلالة فما المانع أن يكونا معاً ويختار الطالب؟ وطالب الدلالة، ماذا سيدرس؟

ومن المدرس الذي يصحبه في جولات في المحافظات السورية؟ وأين سيعمل الخريج، وفي أي جهة سيعمل، ولا وجود للجماعات السياحية والمكاتب؟ يريد صديقنا أن يخرج مجموعة من العاطلين من العمل! فهل تلحظ هذه القضايا قبل أن يفعل فعله في الخطة الدرسية للعام القادم.

حتى لا يكون ذلك الكلام ظلماً أو في الفراغ، إليك سيادة الوزير الخطة الدرسية لأكثر المعاهد عراقة في السياحة (ثقافة قومية، قانون، جغرافيا، إدارة، لغة عربية، تاريخ، لغة انكليزية، لغة فرنسية) وتحذف مادة المطبخ والمطعم بدل فصل المادة، وجعلها مادتين وإغنائها، وعند حذفها ماذا يبقى من تخصص السياحة والفندقة؟! علماً أن الإدارات المباشرة لهذه المعاهد تؤكد ضرورة وجود هذه المواد التخصصية.

لابد أن لدى الخبير إجابات مقنعة، وكلها تصب في مصلحة المعاهد الخاصة، وتسهم في تفريغ التعليم السياحي من جدواه.. لم يبق من السياحة إلا مؤسستها التعليمية فهل نسهم في إنهائها.. لا أظنك تقبل!!

إسماعيل مروة

صمود تاريخ تدمر يغتال بأبشع الصور

خالد الأسعد متصوف تدمر

د. ناديا خوست

في مقالع حجارة في قمة جبل في القارة الأوروبية، بعيداً عن السياسة الغربية التي سلحت جيوش التدخل في سورية، قدم فنان ذواقة عرضاً ضوئياً عن لوحات رفائيل وتماثيل ميكيل آنج. عرضاً يذهل بقدرة الإنسان على الإبداع، والكشف للمعاصرين عن التراث الإنساني الفني. نستطيع بمثل ذلك العرض في الطرقات التي تهدأ في المساء، ومقالع الحجارة التي نبشت الجبال، نشر فنون الحضارة السورية وتأمل المنحوتات التدمرية، وكمال الرؤية التي خططت مدينة، والحرص الدؤوب على تجسيد الجمال. لكن المتوحشين أعدموا المختص الكبير باللغة التدمرية، الحارس المتصوف الذي جعل تدمر محور حياته، هواه وهاجسه، ابنته وحبيبته! طوال نصف قرن رافق خالد الأسعد الزوار والمنقبين، وكان يعدي زوار تدمر بهواه، يأخذ بأيديهم ليطلعهم على ما شفت له حجارتها، ويزداد تعلقاً بها كلما توغل في معرفتها. لذلك لم يكن رفضه الرحيل من تدمر مفاجأة. مع أنه خمّن مصيره. شعر بأن تدمر في لحظة الضيق تحتاجه.

ألا تعبر صورته التي نشرتها صحافة عالمية أمام منحوتات مدفن تدمري عن ذلك الهوى؟ وما الحياة دون تدمر للعالم المولع بها! ليست تدمر بالنسبة له ما يفتن السائح في المنحوتات والأعمدة والتيجان والأبراج! فالشخصيات المنحوتة على المدافن أصحابه، وأزمنة تدمر التي يستحضرها أو يستشفها حياته. يتجول في محطة عالمية بين البحر المتوسط والخليج أذهلت بعمارتها وأناقتها قوافل طريق الحرير القادمة من الصين، يسمع هدير ألوان قوافلها، تفوح عليه التوابل، ويخفق أمامه الحرير والسجاد، يتفرج على عروض مسرحها، ويحضر جلسات مجلس شيوخها، وفي الليل تبدو له من معبد بعل وفي طريق الأعمدة الشاهقة هيبة نجومها. من غيره يتصور تدمر حية، أعمدتها قائمة، والمبتهلون في معابدها، وكتابها ينسخون العقود باللغة التدمرية! لو كان كل منا مثله يهب روحه وعمره للدفاع عن غابة أو نهر أو عمارة، لو كان كل إنسان يورث هواه وتصوفه مثله، لتلألأت هذه البلاد الثمينة كالجوهرة!

كمتصوف ومختص أعجب إعجاب العارف بزنوبيا، ونشر مع عالم دانمركي كتاباً عنها. لامس مواكبها، ومشى معها إلى مصر وأنطاكية، واجه معها الإمبراطورية الرومانية في لحظة مضطربة قدرت أنها مناسبة لإعلان استقلالها. كتب: «لم يكن حسها السياسي أكثر من ثقافتها، فكانت متفتحة العقل تتكلم بطلاقة التدمرية واليونانية والمصرية، وضمت إلى بلاطها الفيلسوف اليوناني لونجين وأسقف أنطاكية بولس الشميساطي، وكانت تحب علم التاريخ». ونقل ما كتبه عنها مؤرخون رومان: «كانت سمراء لوّحتها الشمس، سوداء العينين يشع منهما بريق رائع، أسنانها كالآلئ، وتتكلم بصوت رنان قوي، وتخطب في جنودها معتمرة الخوذة، وكانت تركب العربة الحربية وقلما تعتلي السرير المحمول، لكنها تمتطي الجواد أغلب الأحيان». في كتابه، فتح التخمين كمن يفهم أن مثلها يفضل الموت على مكان أسيرة في موكب الفاتح أوريليانو.

ربما عاش هذا العالم سعادة لا يعرف مثلها إلا من نسج عمله بروحه، وهو يمشي في الفجر وفي الغروب متسائلاً عما تخفي الأرض مما لم يكشفه بعد، مخمناً روعة مفاجآتها. يحاور التماثيل الغائبة، ويجول في رواق الأعمدة تحت السماء التدمرية المرصعة بالنجوم. يتأمل بحث الإنسان في الحياة والفناء والتوق إلى الخلود، البحث الذي طرز العالم بفنون المعابد وصاغ الملاحم. ويفهم التدمري القديم الذي هدأ قلقه بالإيمان بقوى أعظم منه، كلما شعر بأنه ذرة صغيرة عابرة، ووصل من بعلشامين إله السماء، والآلهة التي اختالت طوال قرون، إلى الإيمان بإله واحد «هو الذي اسمه مبارك إلى الأبد، الإله الرحيم الخيّر».

كان خالد الأسعد يعرف تدمر أكثر مما يعرفها أي إنسان آخر. مع ذلك، كم سحرت غير المختص! بأصالة الفن السوري، ومخطط المدينة العالمية الشرقية، ومئات التفاصيل.. ورق الدوالي المنحوت في الحجر، الخطوط التي صاغ منها الفنان التدمري لوحة، نساء المنحوتات بملاءتهن التدمرية التي تكشف تموج الشعر ونضارة العنق والحلي ورهافة الأصابع وتذكر بملاءة المصريات ونساء دير الزور ومابين النهرين. قال لي صلحي الوادي: «أذهب أحياناً إلى تدمر لأراها من القلعة في غروب الشمس. هل يخطر لك أي جمال مذهل يملأ الروح وقتذاك»؟ يقطع أكثر من مئتي كيلومتر ليمسك بلحظة! قبله، سحرت تدمر نساء بريطانيات تحدث عنهن المختص الآخر بتدمر، الدكتور عدنان البني: ليدي ستانهوب وجين ديغبي وبلنت وبورتون، والمعاصرين الذين ملأت عيونهم مدينة وردية في الغروب، لا مثيل لها في العالم، تجمع جلال الآثار بالواحة. ذكر خالد الأسعد في نسخة من كتابه كرمني بإهدائه، «زيارة تدمر». كان يتمنى أن يستقدم السوريين جميعاً إليها. قال ونحن نتجول في المتحف: يحتاج هذا المتحف ضعف موازنته! هل كان يقدر أن الآثار في بلد حضارة عظيمة يجب أن تكون في مستوى الدفاع الوطني؟ وأنها أولا لورثتها، ليعرفوا كنوزهم، ويربوا بفنونها، ويستلهموها. وليحتاطوا بتلك التربية من الجهل الذي يصور أنها أصنام شعوب أخرى. وليؤمنوا بأن النحت يبعد عن العمارة التجهم، ويحيي خضرة الحدائق. ويتذكروا أن النحت العالمي أجرى، بعد ربة الينبوع السورية، الماء من منحوتات نوافيره.

ولد النحت في بلاد الشرق ممزوجاً بالعمارة. تطلعت فيها الأعمدة المزينة بالتيجان والتماثيل إلى السماء. لا مثيل لهذا التراث السوري! فقد أي قطعة منه كارثة تضيّع على الإنسانية مقطعاً من ذاكرتها وفنونها. ما حضارة السوريين غير هذا الكنز من الأساطير والملاحم والرقم والمعابد والمنحوتات التي أبدعها السوريون قبل ألفي سنة؟ ألا نتساءل لماذا تتلهف مافيات الآثار عليه، ولماذا يتسرب بعضه إلى إسرائيل؟

لا يستطيع أي مصطلح فكري يتناول النحت أن ينسينا الجوهر السياسي: يتضمن الصراع العربي الصهيوني صراعاً على الهوية التاريخية، ومن شواهدها النحت. ولا نستطيع أن نهمل أن العقل الذي يعادي منحوتات الحضارة منع تزيين بلادنا بمنحوتات حديثة. ومن خرج عليه استولد كتلاً رمزية من دون ملامح إنسانية!

لذلك التراث التدمري العظيم وهب خالد الأسعد عمره، ثم افتداه بحياته. من يقرأ كتبه يلمس إيجاز العالم، دقته وإحاطته، وروح المحب الخفاقة. وهاهو كالمنحوتات التدمرية التي زينت أعمدة مدينته. لكنه إلى ذلك أضاف مثلاً نحتاجه في هذه الأيام العربية الكالحة، مثلا على التفاني في حب مدينة، والإخلاص حتى الموت لقضية، والرد النقي على بؤس الثقافة!

> الأسعد دفع ثمن الصراع على الهوية التاريخية لسورية والمنطقة

حزن عالمي على سيد تدمر

أغنى المتاحف بالاكتشافات المذهلة ولم يترك تدمر

مها محفوض محمد

لم تشفع له سنون العمر التي تجاوزت الثمانين ولأنه أبى الهروب من مدينته التي ولد فيها وعشقها وقضى حياته في خدمتها وحماية كنوزها، تحدى الإرهاب بصمود وصلابة حجارة تدمر ليقتل بطريقة وحشية أثارت سخطاً عالمياً ولم يكن لسقوط تدمر في يد الإرهاب وقعاً كالذي حصل مع اغتياله فلم تبق وسيلة إعلامية إلا تناولت الخبر وخاصة المكتوبة منها فهو الباحث وعالم الآثار السوري الذي يعرفه الغرب جيداً حيث عمل الدكتور خالد الأسعد مع بعثات آثار عالمية من مختلف الجنسيات كان يساعدها في عمليات البحث والتنقيب في آثار تدمر كما قدم دراسات علمية مهمة ترجمت إلى عدد من اللغات. صحيفة لوفيغارد الفرنسية كتبت تحت عنوان «الاغتيال المرعب لخالد الأسعد»: هول آخر من أهوال داعش، إنها تقطع رأس مدير موقع الآثار التدمرية وتعلق جسده أمام الناس خالد الأسعد (٨٢) عاماً خصص أكثر من خمسين عاماً من حياته لصيانة وإعلاء شأن الموقع الأثري، يا لتحفة العالم اليوناني – الروماني بهذا الخبر المريع تخيلوا أن عالماً كهذا قدم خدمات للتاريخ يذبح بهذه الطريقة!

وكان جال لونغ مدير معهد العالم العربي في باريس ووزير الثقافة في عهد فرانسوا ميتران قد ثارت ثائرته أمام هذا العمل المريع فصرح قائلاً: هذا الرجل الرائع عمل خلال خمسين عاماً على ترميم وحماية كنوز تدمر لأجل الإنسانية، إن الذين اغتالوه هم وحوش فنحن نواجه حثالة البشرية ويجب أن نتوقف عن وصفهم بالإسلاميين، فالإسلام دين السلام والنور، هؤلاء لديهم مشروع لترويع الإنسانية ومحوها، هذا إذا كنا نستطيع الحديث عن الإنسانية مع كائنات كهذه، إنهم أقذر كائنات على الأرض أليس من العار أن يعذب شخص كهذا؟

صحيفة لوموند كتبت: إعدام رجل كبير كهذا هو عمل شنيع، لقد أغنى المتاحف بالاكتشافات المذهلة وكان الأسعد هو من استقبل رئيس الوزراء الفرنسي ريمون بار في تدمر عام ١٩٧٧ وكانت الزيارة خارقة، لقد بدأ عمله في هذا المجال منذ العام ١٩٦٠ ولم يكن قبله هناك أي إدارة آثار تشرف على الموقع لقد رفض أن يترك تدمر لأنه يحبها حتى النخاع واعتبر تركها خيانة للأسلاف.

صحيفة جيوبولتيك كتبت: العاشق لتدمر والمرجع في عالم الآثار هو كنز بالنسبة لسورية والعالم. لقد كان «سيد تدمر» على الأقل بالنسبة لثلاثة أجيال من المؤرخين وعلماء الآثار، كان متحمساً جداً لعمله وشغوفاً به، لقد سمى ابنته زنوبيا باسم ملكة تدمر لشدة حبه لهذا البلد.

وصحف أخرى كثيرة ومواقع عالمية وشخصيات عديدة من كبار الباحثين وجهوا التحية إلى هذه الشخصية العظيمة واصفين إياه بـ«الحكيم» وقد أذهلهم الخبر.

ريجيس فاليه عالم الآثار المختص بالشرق الأوسط ومدير مختبر الآثار والعلوم في باريس تحدث إلى مجلة نوفيل أوبسرفاتور قائلاً:

وتستمر المجزرة ولكن هذه المرة كانت الضحية شخصية مهمة جداً إنما بالنسبة لداعش جميع الذين يعملون في خدمات الآثار السورية هم أهداف أولوية أولاً: لأنهم يعملون مع الدولة التي هي أحد أعداء التنظيم الإرهابي، ففي سورية هناك مديرية آثار تعمل بمهنية عالية تتبع لوزارة الثقافة السورية وهي إدارة شاملة بدأت منذ العام ١٩٢٠ ويعمل في هذه الإدارة عشرات الآلاف من الموظفين بدءاً من المدير إلى حراس المواقع وأغلب من يعرف هؤلاء هم القرويون الموجودون في أماكن الآثار، وقبل بدء الحرب في سورية عام ٢٠١١ كانت هذه المديرية قادرة على استقبال عشرات البعثات الأجنبية.

ثانياً: إن مهمة هؤلاء الحفاظ على قيمة التراث بيد أن «داعش» تريد تدمير كل أثر لهذا التراث العظيم وهذا منهج مرعب، لقد عملت لزمن طويل في بعثات شمال شرق سورية قرب مدينة الحسكة كنا نصل إلى مطار دمشق ثم نذهب إلى تدمر وأود القول إن خالد الأسعد هو رجل نزيه إلى أبعد الحدود ومن النادر أن تجد من أمثاله، لقد كرس حياته كلها لحماية الآثار وأبى أن يبوح لهم بمكان الآثار وهم يركزون على الذهب، وكل من يعمل بالآثار سمع يوماً هذا السؤال وأعتقد أنه بالنسبة لتدمر فإن الحكومة السورية كان لديها الوقت لإخلاء الآثار باتجاه دمشق قبل أن تقع في أيدي الإرهاب ذلك أن تدمر العظيمة كانت حتى القرن الثالث قبل الميلاد تنافس روما واليوم هي حافلة بالمناجم وخطر تدميرها يعادل خطر اختفاء بومبي ومدرج المسرح في روما.

وكنت بالتعاون مع كوليج دو فرانس وجامعة باريس الأولى قد أطلقت في آذار الماضي طلباً لجمع تواقيع للدفاع عن التراث في تلك المنطقة وجمعنا حتى الآن ١٨٠٠ توقيع وهي نتيجة جيدة لقد أوكل إلي ترقيم الأرشيف العلمي لموقع لارزا العراق وحصلت على قروض لتصميم نموذج مصغر 3D لموقع ماري السوري وفي أيلول القادم سأذهب إلى كردستان العراق فالمعركة ضد البربرية مستمرة.

ميخائيل بيوتروفسكي مدير معهد الارميتاج الروسي كتب كلمة وجه فيها التحية لذكرى الراحل الكبير واصفاً طريقة قتل الأسعد بالمروعة والوحشية، يقول: هؤلاء المجرمون ليس لديهم أي إحساس فبماذا كان خالد الأسعد يهددهم وأي خطر كان يمثله هذا العالم ذو الثانية والثمانين عاماً صاحب المؤلفات العلمية المهمة.

يبدو أن خطره يكمن في عمله ذاته الذي كان يقوم به للحفاظ على الآثار والتعريف بالصروح الثقافية القديمة، عمله هذا سمح لشعوب كثيرة بالتعرف على الماضي والمقارنة مع ما يروى عنه ومع الصروح الثقافية الباقية إلى يومنا هذا وطرح الكثير من الأسئلة، وما يحصل من تدمير لهذه الصروح هو عودة إلى عصور الجهل والظلام ومسعى إلى حرمان الناس من المعرفة والتصور والانسجام، ويضيف: لقد شهد تاريخ الإنسانية من قبل تدمير صروح معمارية وثقافية وكانت أيضاً من متطرفين وانتماءات دينية وأيدولوجيه لكن أن تأتي لحظات محتومة كهذه يعدم فيها أشخاص هم حراس الحضارة فهذا شيء مرعب، كنا نعتقد أن البروفسور خالد الأسعد سيصعد إلى المنصة لينقذ تدمر وليس ليعدم عليها، لقد اغتيل في حرب سيطر فيها الجهل على الثقافة.

صحيفة الزمن الفرنسية عنونت: حزن عالمي على شخص عذب ملتزم، هو المعلم في مجاله من دون منازع، كما نشرت على موقعها تعليقات من عشرات آلاف القراء جاءت مستنكرة متأثرة ومؤثرة كما استنكرت نشر الصورة وبأن ذلك سينشر الرعب وما تريده «داعش» فكان الرد: لا، إنه من الضروري نشر شناعة هذه الجريمة التي ارتكبتها داعش كما يجب أن ينشر على الملأ، لأنه في مكان يعرفه الجميع في تدمر واللافت أيضاً كان عدد الذين ثاروا ضد اللامبالاة الدولية والتساؤل: متى سترد القوى العظمى، إلى متى سيستمر هذا الصمت الذي يصم المجتمع الدولي، ومتى سيدركون أن الخطر داهم جداً، ومتى ستضع المجموعة الدولية نهاية لإجرام هؤلاء الوحوش؟